4ème Année, No. 158.

Lundi - 13 - 7 - 1936

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٥٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ربيع الثانى سنة ١٣٥٥ — ١٣ يوليه سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العـــدد

صفحة		
١١٢١	لـــو !	الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
١١٢٤	ذات الثـــوب الأرجوانى	الأستاذ ابراهيم عبدالقادر المازنى
١١٢٧	الصراع الحاسم بين الطغيان والديموقراطية	باحث دبلوماسى كبير ... ...
١١٢٩	هـنرى روبير	الأستاذ عبد الحليم الجندى ...
١١٣٣	الأيـــوردى	الأستاذ على الطنطاوى ... ...
١١٣٧	أثر الحرب الكبرى فى بريطانيا	للأستاذ رمزى ميور ... ... ترجمة الأستاذ محمد بدران ...
١١٤١	فى النقد أيضاً	الأستاذ محمد رفيق البابيدى ...
١١٤٢	شعراء الموسم فى الميزان	الأديب عباس حسان خضر ...
١١٤٤	قصـــة المكروب ...	الدكتور أحمد زكى ... ...
١١٤٦	ســـعيد بن المسيب ...	الأستاذ نايى الطنطاوى ...
١١٤٨	الأسكندرية (قصيدة)	حبيب عوض الفيومى ... ...
١١٥١	الشيخ عبـد الباسط يتزوج (قصة)	الأستاذ محمد على عريب ... ...
١١٥٤	أنتيجـونى «	الأستاذ دريني خشبة ... ...
١١٥٦	إبسن وأرنولد بنت	د . خ ... ...
١١٥٧	أوجست ستريندبرج	
١١٥٨	هزيمة غاندى وانتصار طاغور	
١١٥٨	قصص طاغور	
١١٥٩	العيد الثوى للصحافة الشعبية . طبعة جديدة من الأنيس للبطرب	
١١٥٩	وفاة الدكتور سنوك هور جرونيه المستشرق الهولندى ...	
١١٦٠	مجلة خاصة لمسائل الأجناس . كتاب جديد لميو هاوتو ...	

لَـــو !....

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

رأيتُنى جالساً فى مسرح هزلىّ بمدينة اسكندرية كما يجلس القاضى فى جريمة يحمل أهلُها بين يديه آثامهم وأعمالَهم ويحمل هو عقلَه وحُكمه . وقد ذهبت لأرى كيف يتساخَفُ أهلُ هذه الصناعة - فكان حكمى أن السخافة عندنا سخيفةٌ جداً ....

رأيتهم هناك ينقدون العيوب بما يُنشئُ عيوباً جديدة ، ويسبحون بأيديهم سباحة ماهرة ولكن على الأرض لا فى البحر ، وتكاد نظرتهم إلى الحقيقة الهزلية تكون عمّى ظاهراً عما هى به حقيقة هزلية ؛ ولا غاية لهم من هذا التمثيل إلا الرقاعة والاسفاف والخلط والهذيان ، إذ كان هذا هو الأشبه بجمهورهم الذى يحضرهم ، وكان هو الأقرب إلى تلك الطباع العامية البليدة التى اعتادت من تكلف الهزل ما جعلها هى فى ذات نفسها هزلاً يسخر منه

ولا أسخف من تكلف النكتة الباردة قد خلت من المعنى ، لا تكلفُ الضحك المصنوع يأتى فى عقبها كالبرهان على أن فى هذه النكتة معنى

فالفن المضحك عند هؤلاء انما هو السخفُ الذى يوافقون به الروح العامية الضئيلة الكاذبة المكذوبَ عليها التى يبلغ من

بلاهتها أحياناً أن تضحك للنكتة قبل إلقائها ، لفرط خفتها ورعونتها ، وطولِ ما تكلفت واعتادت . فما ذلك الفن إلا ما ترى من التخليط فى الألفاظ ، والتضريب بين المعانى ، وإيقاع الغلط فى المعقولات ؛ ثم لا ثم بعد هذا . فلا دقة فى التأليف ، ولا عمق فى الفكرة ، ولا سياسة فى جمع النقائض ، ولا نفاذ فى أسرار النفس ، ولا جدّ يؤخذ من هزلية الحياة ، ولا عظمة تستخرج من صغائرها ، ولا فلسفة تعرف من حماقاتها

والفرق بعيد بين ضحكٍ هو صناعة ذهنٍ لتحريك النفس وشحذ الطبع وتصوير الحقيقة صورة أخرى ، وبين ضحك هو صناعة البلاهة للهو والعبث والمجانة لا غير

* * *

وكان معى قريب من أذكياء الطلبة المتخصصين للآداب الانجليزية ، فلم نلبث غير قليل حتى جاء ثلاثة من ضباط الأسطول الانجليزى فجلسوا بحذائنا صفاً تلوح عليهم مخايل الظفر ، ولهم وقارُ البطولة ، وفيهم أرواح الحرب . وهم يبدون فى ثيابهم البيض الطرّاة [1] كأنهم ثلاثة نُسور هبطت من الغمام إلى الأرض ، فلأعينها نظرات تدور هنا وهناك تنكر وتعرف

وأعجبنى أن أراهم فى هذا المكان الهزلى المتلئ بالضعفاء ، كأنهم ثلاثُ حقائق بين الأغلاط ، أو ثلاث أغلاط كبيرة ... وكان أبدع ما أراه على هيئة وجوههم وأسرُّ له تواضع هذا الاستعداد الحربى وتحوله إلى استعداد للسخرية ...

ثم تأملتهم طويلاً فاذا صرامة وشهامة وسكينة ووداعة وحُسن سَمْتٍ وحلاوة هيئة فى جلسة رزينة متوقرة ، لا يشبهها فى حسّ النفس التى تعرف معانى القوة إلا وضع ثلاثة مدافع مصوّبة

وجعلت أقلب عينىّ فى الناس الموجودين وملامحهم وهيئاتهم ثم أرجعُ البصرَ الى هؤلاء الثلاثة ، فأرى المصرىّ كالمقتنع بأنه محدودٌ بمدينة أو قرية لا يعرف لنفسه مكاناً فى غيرها ، فهو من ثَم لا يرحل ولا يغامر ولا تتقاذفه الدنيا ؛ وأرى الانجليزىّ كالمقتنع بأن كل مكان فى العالم ينتظر الانجليز . . . .

وخيل الى والله أن رجلاً من هؤلاء الانجليز الأقوياء المتدين بأنفسهم لا يهاجر من بلاده إلا ومعه نفسهُ واستقلاله وتاريخهُ وروح دولته وطبيعة أرضه ، فهو مستيقن أن الله لا يرزقه رزقاً أىّ الرزق كان على ما يتفق ، بل رزقاً انجليزياً : أى فيه كفايته

ورأيت شيئاً عجيباً من الفرق بين طابع السلم على وجوه ، وبين طابع الحرب على وجوه أخرى ؛ ففى تلك معانى السهولة والملاينة والحرص على مادة الحياة ، وفى هذه معانى العزم والمقاومة والحرص على مجد الحياة لا على مادتها

وتبيّنتُ أسلوبين من الأساليب الاجتماعية : أحدهما فى فرد قد بَنَى أمرَهُ على أن أُمّةً تحمله فهو يعيش بأضعف ما فيه ، والآخر فى فرد قد وضع الأمر على أنه هو يحمل أمةً فلا يدع فى نفسه قوة إلا ضاعفها

وعرفت وجهين من وجوه التربية السياسية : أحدهما بالطنطنة والتهويل والصراخ واستعارة ألفاظ غير الواقع للواقع وتحميل الألفاظ غير ما تحمل ، والآخر بالهدوء الذى يقهر الحوادث والصبر الذى يغلب الزمن والعقيدة التى تفرض أعمالها العظيمة على صاحبها وتحمل أعظم أجره عليها أن يقوم بها

وميّزت بين أثرين من آثار الأرض فى أهلها : أحدهما فى المصرى السَّمْح الوادع الألوف الحِيّ الذى هو كَرَمُ الطبيعة ، والآخر فى الانجليزى العَسِر المغامر النَّفور الملحّ على الدنيا كأنه تطفّل الطبيعة . . . . .

* * *

وألقى ابن العم الذى كان معى سمعَه الى هؤلاء الضباط وهم من فلاسفة الرأى على ما يظهر من حديثهم ، ثم نقل إلى عنهم ، فقال كبيرهم : لقد فرغت من بحثى الذى وضعته فى فلسفة حمول الشرقيين وأفضيتُ منه إلى حقائق عجيبة أظهرُها وأخفاها معاً أن أُمةً من هذه الأمم لا يُمكّن للأجنبى فيها ولا تثقل وطأته عليهم ولا يطول ثواؤه فى أرضهم ولا يحتلها من يطمع فيها ، ما لم يكن سادتها وأمراؤها وكبراؤها كأنهم فيها دولة محتلة

وهؤلاء الكبراء هم آفة الشرق ؛ فمن أعظم واجباتنا أن نزيد فى تعظيمهم ، وأن نمدّ لهم فى المال والجاه ، ونبسط لهم اليمين والشمال ، ونوهمهم أن عظمتهم هكذا ولدت فيهم وهكذا ولدوا بها من أمهاتهم كما ولدوا بأيديهم وأرجلهم ... وخاصة عظماء رجال الأديان المفتونين بالدنيا ؛ فاننا نصنع بغرور الجميع وسخافاتهم وحرصهم وطمعهم أشياءَ اجتماعية ذات خطر لا يصنع لنا مثلها إلا الشياطين . ومن لنا بالحكم على الشياطين ؟ وهذا ما تنبه له غاندى ذلك المهزول الهندى الذى تقوّم دنياه بأربعة شلنات ، ولا

(١) أى المكوية ؛ والكلمة العربية التى استعملت قديماً فى معنى (المكوى) هى (الطرى) بتشديد الراء

يزن أكثر من بضعة أرطال من الجلد والعظم ، ولا بطش عنده ولا قوة فيه ، وهو مع ذلك جبار سماوى فى يده البرق والرعد يُرى ويُسمع فى أرجاء الدنيا

قال ضابط اليمين : وبصناعة الكبراء هذه الصناعة يكون رجلُ الشعب من هؤلاء الشرقيين رجلَ تقليد بالطبيعة ، ورجل ذل بالحالة ، ورجل خضوع بالجملة ؛ فليس فى نفسه أنه سيد نفسه ولا سيدُ غيره ، بل أكبر معانيه أن غيره سيد عليه فيكون معه دائماً خيال استعباده

وتكلم ضابط اليسار : ولكن المترجم لم يميز أقواله ، لأن ثلاث عشرة امرأة كنَّ يصرخن فى الرواية الهزلية بلحن طويل يقلن فى أوله : « عاوزين رجّالة تدلّعنا . . . . . » وكانت الموسيقى تصرخ معهن وتولول كأنها هى أيضاً امرأة محرومة ...

* * *

ثم أرهف المترجم أذنه فقال كبيرهم : إن لهؤلاء الشرقيين ست حواس : الخمس المعروفة وحاسة الخمول الذى خدعتهم عنه الطبيعة البليدة فسموه الترف والهزل واللهو ، والأمة الأوربية التى تحتل بلاداً شرقية تجد فيها لصغائر الحياة جيشاً أقوى من جيشها . فعشرة آلاف جندى بعتادهم وآلاتهم لا يصنعون شيئاً إلا الاستفزاز والتحدى وإثبات أنهم غاصبون ، ولكن ما أنت قائل فى عشرة آلاف مكان كهذا المسرح براقصاته وموسماته وخموره وروايات وبهؤلاء الرجال المختثين الهزليين الرّقعاء الذين هم وحدهم معاهدة سياسية ناجحة بيننا وبين شباب الأمة . . . ؟

قال ضابط اليمين : نعم إن فن الاحتلال فن عسكرى فى الأول ولكنه فن أخلاق فى الآخر ؛ ولهذا يجب تعيين نقطة اتجاه للشباب تكون مضيئة لامعة جذابة مغرية ولكنها فى ذات الوقت محرقة أيضاً ، وهذه هى صناعة إهلاك الشباب بالضوء الجميل ، وما على السياسى الحاذق فى الشرق إلا أن يحمى الرذيلة ، فان الرذيلة ستعرف له صنيعه وتحميه . . . فتكلم ضابط اليسار ، ولكن صوته ذهب فى عشرين صوتاً من رجال المسرح ونسائه يصيحون جميعاً : « يا حلوة يا خفّافى يا مجنّنة الشبان . . . »

* * *

ولما ألممت بحوار الضباط الثلاثة قلت لصاحبى : استأذن لى عليهم أكلمهم . ففعل وعرفنى اليهم وترجم لهم مقالة (ياشباب العرب) وكان يحملها . فكأنما رماهم منها بالجيش والأسطول .

ثم قلت لكبيرهم : لست أنكر أن الانجليزىّ لو دخل جهنم لدخلها انجليزيا . . ولا أجحد أن له فى الحياة مثل هداية الحيوان لأنه رجل عملى دليل منفعته أنها منفعته وحَسْبُ ، ثم لا دليل غير هذا ولا يقبل إلا هذا . فاذا قال الشرقى (حقّ) وقال الانجليزى (منفعتى) بطلت كل الأدلة ، ورأى الشرقى أنه مع الانجليزى كالذى يحاول أن يقنع الذئب بقانون الفضيلة والرحمة

وقد عرفنا أن فى السياسة عجائب ، منها ما يشبه أن يلقى انسانٌ انسانا فيقول له : ياسيدى العزيز ، بكل احترام أرجو أن تتلقى منى هذه الصفعة . . . . وفى السياسة مواعيد عجيبة : منها ما يشبه غرس شجرة للفقراء والمساكين والتوكيد لهم بالإيمان أنها ستثمر رُغْفاناً مخبوزة . . . . ثم بعد ذلك تطمّ فتثمر الرغفان المخبوزة حشوُها اللحمُ والإدام

وفى السياسة محاربة المساجد بالمراقص ، ومحاربة الزوجات بالمومسات ، ومحاربة العقائد بأساتذة حرية الفكر ، ومحاربة فنون القوة بفنون اللذة . ولكن لو فهم الشباب أن أماكن اللهو فى كل معانيها ليست إلا غدرا بالوطن فى كل معانيه ! ولو عرف الشباب أن محاربة اللهو هى أول المعركة السياسية الفاصلة ! ولو أدرك الشاب أن أول حق الوطن عليه أن يحمل فى نفسه معنى الشعب لا معنى نفسه ! ولو رجع الدين الاسلامى كما هو فى طبيعته آلةً حربية تصنع من الشباب رجال القوة ! ولو علم الشباب أن روح هذا الدين ليست : اعتقدْ ولا تعتقد ، ولكن افعلْ ولا تفعل ! ولو أيقن الشباب أن فرائض هذا الدين ليست إلا وسائل عملية لامتلاء النفس بمعانى التقديس ! ولو فهم الشباب أن ليس فى الكون إلا هذه المعانى تجعل النفس فوق المادة وفوق الخوف وفوق الذل وفوق الموت نفسه ! ولو بحث الشباب النفس الانجليزية القوية ليعرف بالبرهان أنها نصفُ مسلمة فكيف بها لو كانت مسلمة ؟ . . . .

* * *

وكان المترجم ينقل اليهم كلامى فما بلغت الى حيث بلغت حتى شدّ الضابط على يدى وهزّها ؛ فنظرت فاذا أنا قد كنت نائماً بعد سهرة طويلة فى ذلك المسرح ، وإذا يد المترجم نفسه هى التى تهزنى لأنتبه

(لحظا)

مصطفى صادق الرافعى